علاقات دولتى مالى وسنغاى بمصر

فى عصر سلاطين المماليك

(١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)

للدكتور محمد محمد امين

جامعة القاهرة

MALI and SONGHAY RELATION'S WITH EGYPT IN MAMLOUK'S PERIOD (1250—1517)

By

Dr. MOHAMED M. AMIN

Cairo University

In the middle ages, two Empires were arised in west Africa, Mali and Songhay. About the eleventh century, Islam spread in west Africa, Since that time, Pilgrimage to mecca has played an important role in the relations with Egypt.

— Egypt was a main road for Takrurs to Mecca, Takrurs prefared go to Mecca by Egypt, for trade and Studies.

— Many account pilgrimages made by rulers of Mali and Songhay, Mansa Musa and Askia Mohammad Visited Cairo.

— Some Takrurs lived in Cairo for Study in Al–Azhar, and Egyptions lived in west Africa for the trade.

— There were relations between Jalal ad din as Suyuti and Askia Moham–mad.

شهدت العصور الوسطى قيام عدة امبراطوريات قومية ، أقامها الوطنيون الأفريقيون فيما هو معروف بالسودان الغربى ، وأشهر هذه الإمبراطوريات مالى وسنغاى ، وكان عمادهما زمن إزدهارهما وقوتها الدين الإسلامى عقيدة ، واللغة

العربية أداة الإدارة والثقافة والتجارة ، فعن طريق الإسلام والعلوم العربية الإسلامية سارت هذه المنطقة فى طريق الحضارة والتقدم ، فسرعان ما شكل الإسلام عادات السكان وطور أحوالهم ، « فبالإسلام يبدأ العصر التاريخى لأفريقيا السوداء »(١) .

والواقع أن العصور الوسطى تمثل العصر الذهبى لتاريخ غرب أفريقيا القومى ، حيث برزت الخصائص المميزة للحضارة الأفريقية الوطنية ، وقامت حكومات ونظم إدارية أمدها الإسلام بالمعارف المختلفة من آداب وعلوم وفنون ، كما أمدها بوسائل المعرفة من علماء ومدارس وجامعات ، حتى فاقت حضارة هذه البلاد حضارة معظم بلاد أوربا المعاصرة لها . ولا عجب فقد إرتبطت الحضارة الأفريقية فى السودان الغربى بأرقى الحضارات الإنسانية فى ذلك الوقت ، وهى الحضارة العربية الإسلامية(٢).

والمؤسس الحقيقى لدولة مالى هو سندياتا أو مارى جاطة — Sundiata Mari Jata (١٢٣٠—١٢٥٥)، فيرجع الفضل إليه فى تحويل دولة الماندنجو (٣) الصغيرة فى إقليم كانجابا إلى امبراطورية واسعة . ونقل عاصمة ملكه من جارب فى كانجابا إلى مدينة جديدة أنشاها على رافد للنيجر ، وهى مدينة نيانى Niani (٤) ، ثم نقلت العاصمة بعد ذلك إلى كل من مانى كورا ، ثم كانجابا ، وقد عرفت كل من هذه المدن باسم مالى ، أو مل ، أو ملى ، أو مليت ، أو مليل ، وذلك أثناء إتخاذها كعاصمة للبلاد ، كما أصبح نفس الإسم علما على دولة الماندنجو (٥) .

---

(١) Gouilly, A. : L'Islam dans L'Afrique Occidentale Francaise, p. 50.

(٢) عن عوامل انتشار الاسلام فى غرب أفريقيا أنظر نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة أوربا فى أفريقيا الغربية ص ٨٥ وما بعدها .

(٣) انتشرت قبائل الماندنجو فيما بين نهر النيجر والمحيط الأطلنطى، Gouilly : op. cit. p. 54، وعن تسميات هذه القبائل وتفسير كلمة ماندنجو أنظر د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الاسلامية ص ٢٧ وما بعدها ،

Trimingham, J.S. : A History of Islam in west Africa, p. 60.

(٤) تقع على نهر سانكارانى قرب اتصاله بنهر النيجر —

Fage, J.D. : An Atlas of African History p. 18.

كما عرفت باسم « ينع » — محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٥٦ .

(٥) Monteil, ch. : Les Empires du Mali, p. 71., Bovill, E.W. : The Golden Trade of the Moors, p. 87., Levtzion., N. : The Early States of the Western Sudan to 1500, in History of West Africa, Vol. I., ed. J.F.A. Ajayi, p. 125.

ودولة الماندنجو هى التى عرفت عند العامة فى مصر ، فى العصور الوسطى باسم « بلاد التكرور » ، فيقول العمرى « ويغلب على سلطان مالى ، عند أهل مصر سلطان التكرور ، ولو سمع هذا أنف منه ، لأن التكرور إقليم من أقاليم مملكته ، والأحب إليه أن يقال صاحب مالى ، لأنه الإقليم الأكبر ، والتكرور مدينة من مدنها » (١) ، ويقول القلقشندى « مالى المعروفة عند العامة ببلاد التكرور » (٢) .

بلغت إمبراطورية مالى الإسلامية أقصى إتساعها ، وأوج إزدهارها فى عهد السلطان موسى (٣) (٧١٢–٧٣٨ هـ – ١٣١٢–١٣٣٧ م) ، فامتدت من بلاد التكرور غربا على المحيط الأطلنطى إلى منطقة دندى ومناجم النحاس فى تكده – مركز القوافل – شرقاً ، ومن مناجم الملح فى تغازة فى الصحراء شمالا إلى فولتا جالون ومناجم الذهب فى ونقارة جنوباً ، وحاذت حدودها الجنوبية منطقة الغابات الإستوائية ، وشملت مناطق من الدول المعروفة اليوم باسم جمهورية مالى فى الوسط ، وجنوب جمهورية موريتانيا الإسلامية فى الشمال ، والسنغال وغينيا فى الغرب ، وشمال ساحل العاج وفولتا فى الجنوب ، وجمهورية النيجر فى الشرق(٤) .

---

(١) أبن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار (مخطوط) جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٢ ، وكلمة تكرور وتكارزة أو تكارنة (عند العامة) تستعمل فى المشرق للدلالة على جميع سكان السودان الأوسط والغربى (وسطوغرب أفريقيا)أنظر :

Bovill : op. cit. p. 84, Trimingham, J.S. : Islam in west Africa, p. 13.

وعن تطور استخدام كلمة التكرور أنظر :

Umar AL—Nagar : Takrur, The History of the name, Journal of African History (J.A.H.) X,3 (1969), pp. 365—374.

وانظر أيضاً محمد بلو : اتفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ص ص ٢٧ – ٢٩ .

(٣) يضاف إلى إسمه كلمة « منسا Mansa » بمعنى السلطان عند الماندنجو– القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٣ ، كما تنسب إلى أمه ناناكنك ، **Nana Kango** ، واضيفت هذه التسمية بصور مختلفة مثل كنكن **Kankan** ، أو كونكور **Kounkour** ، أو جونجو **Gongo** ، أو كونجو **Kongo** ، أو منساكنكن موسى **Mansa Kankan Musa** أنظر :

Bovill : op. cit. p. 86, Monteil : op. cit. p. 18.

(٤) انظر الخريطة رقم (١) ، نعيم قداح : أفريقيا الغربية فى ظل الاسلام ص ٤٤ .

أما شعب السنغاى فقد عاش فى المنطقة الوسطى من حوض النيجر ، ونجح فى تأسيس دولة منذ القرون الأولى للميلاد إستمرت إلى نهاية القرن ١٠ هـ ـ ١٦ م(١) ، ويذكر السعدى أن ملكهم زاكسى Za—Kossoi أسلم فى حوالى سنة ٤٠٠ هـ ـ ١٠٠٩ م ، ولذا يطلق عليه فى لغتهم « مسلم دم » أى أسلم طوعاً بلا إكراه (٢) ، وهو الذى نقل عاصمة سنغاى من كوكيا (٣) إلى جاو (٤) .

خضعت سنغاى لسيطرة دولة مالى الإسلامية فى عهد منسا على (٦٥٣—٦٦٩هـ ـ ١٢٥٥—١٢٧٠ م) ، إلا أن جاو العاصمة إمتنعت على جيوش مالى ، وأخذ منسا على رهائن من سنغاى ليضمن خضوعها وإستسلامها (٥) .

لم تثبت سنغاى على الطاعة ، إذ هربت الرهائن بعد وفاة منسا على ، ولكن سيكرة أو ساكورة Sakoura الذى إغتصب عرش مالى (٦٨٤—٧٠٠ هـ ـ ١٢٨٥—١٣٠٠ م) أعاد إخضاع سنغاى ، بل واستولى على عاصمتها جاو أيضاً (٦) وللمرة الثانية تخلصت سنغاى من سيطرة مالى ، فاضطر سقمنجة Sagaman قائد منسا موسى إعادة فتح جاو سنة ٧٢٥ هـ ـ ١٣٢٥ (٧) ، كما إستولت قوات مالى على تنبكت عام ٧٣٧ هـ ـ ١٣٣٦ م (٨) .

---

(١) السعدى : تاريخ السودان ص ص ٢ ، ٤ ،

Levtzion : op. cit. p. 137.

(٢) السعدى : مصدر سابق ص ٣ .

(٣) تقع فى جزيرة بنتيا فى النيجر على بعد ستين ميلا جنوبى جاو ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الأسلامية السودانية ص ١٣٣

(٤) نفس المرجع ص ١٣٤ .

(٥) السعدى : مصدر سابق ص ٧ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٤ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،

Rouch, J. : Les Songhay, p. 8.

(٦) Rouch, : op. cit. p. 8, Levtzion, op. cit. p. 137.

(٧) السعدى : مصدر سابق ص ٧ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ٢٠٠ .

(٨) السعدى : مصدر سابق ص ٢٢ .

إستتب نفوذ مالى فى سنغاى طوال عهد منسا موسى حتى أن السعدى يعتبره « أول من ملك سنغى من سلاطين مالى »(١) .

بدأت سنغاى تشق عصا الطاعة على سلاطين مالى ، بعد وفاة منسا موسى ٧٣٨ هـ — ١٣٣٧ م ، حتى تحررت نهائياً من سيطرة مالى ، وبدأت فى بناء قوتها العسكرية ، حتى أن سن محمد داغ — السلطان العاشر فى سلسلة ملوك أسرة سن — إستطاع فى حوالى سنة ٨٢٣ هـ — ١٤٢٠ م أن يخرب معظم بلاد مالى ، وبخاصة عاصمتها ، وأن يأسر الكثير من عبيدها(٢) .

وفى أقل من ثلاثين عاما إستطاع سن على (٨٦٩—٨٩٨ هـ — ١٤٦٤—١٤٩٢م) تحويل سنغاى من دولة صغيرة إلى إمبراطورية كبيرة ، كان هو أول إمبراطور لها ، ورغم ذلك فانه لم يتخذ عاصمة ثابتة لدولته ، أو أقام دولة موحدة بالمعنى المفهوم ، إذ أقام دولته بحد السيف ، وأراد أن يحتفظ بها ضد من يعاديه أو يعيب سياسته بهذا السيف أيضاً ، دون النظر إلى رأى الجماعة ، أو إشراك العلماء والفقهاء فى شئون هذه الدولة(٣) .

وفى ظروف غامضة توفى سن على سنة ٨٩٨هـ — ١٤٩٢ م ، وخلفه على العرش أحد كبار قادته ، وهو محمد بن أبو بكر الطورى ، وقيل السلنكى ، وبذلك بدأ عهد جديد لأسرة جديدة . قدر لها أن تقود هذه الدولة ، وأن تعيد للبلاد وجهها الإسلامى ، ويلقب سلاطينها بلقب « أسكيا »(٤) .

---

(١) السعدى : مصدر سابق ص ٧ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ص ص ٤٢ ، ٤٣ ،

Panikkar, K.M. : The Serpent and the Crescent, A History of the negro Empires of western Africa, p. 62.

(٣) د. نيقولا زيادة : صفحات مغربية ص ٣٢ ،

Trimingham : A History ...p. 94.

(٤) السعدى : مصدر سابق ص ٧٢ ، محمود كعت : مصدر سابق ص ٤٤ ،ويذكر السعدى أنه لما بلغ خبر انتصار محمد الطورى وتوليه العرش إلى بنات سن على قلن « أسكيا » وهن تعنى فى كلامهم « لا يكون إياه » فلما سمع الطورى ذلك أمر ألا يلقب إلا به ، فقالوا أسكيا محمد — تاريخ السودان ص ٧٢ .

حكم الأسيكيون سنغاى حوال قرن من الزمان (٨٩٩–٩٩٩ هـ – ١٤٩٣ – ١٥٩١)م إزدهرت فى عهدهم الدولة إزدهاراً كبيراً (١) ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الأسكيا محمد الكبير الذى حكم سنغاى نحوا من ٣٥ عاما ، وبلغت الدولة فى عهده أقصى قوتها التى لم تزد عليها بعده ، وأصبحت أكبر إمبراطورية فى غرب أفريقيا على الإطلاق سواء فى المساحة أو السكان أو التنظيم (٢) فقد رأى أسكيا محمد أنه لم يستحق الملك بوراثة أو حسب ، وإنما بالثورة ، وعليه أن يثبت جدارته بالأعمال لكى ينقاد الناس له ، وهذا ما يفسر عبارة محمود كعت « أن الأسكيا محمد يصلح حتى لحكم دولة بنى العباس ، وكل دولة أخرى غيرها »(٣) .

أمدت فتوحات أسكيا محمد دولة سنغاى بثروة هائلة ، إذ إمتدت دولة سنغاى من صحراء النيجر وبحيرة اير شرقا ، إلى حوض السنغال غربا ، ومن سيجو على النيجر جنوباً إلى الصحراء الجزائرية شمالا ، وكانت مدينة جاو عاصمة هذه الإمبراطورية الواسعة (٤) ، وكان لهذه الدوله من الموارد ما يفيض عن حاجة السكان ، وبخاصة المنتجات الزراعية ، والثروة المعدنية من الذهب ، فضلا عن العبيد(٥) .

ومع بداية القرن العاشر الهجرى – السادس عشر الميلادى ، وقعت أحداث بين السعديين فى مراكش وسلاطين سنغاى ، جعلت السعديين ينظرون إلى حكام سنغاى بعين الريبة ، وبخاصة بعد أن إتخذ الأسكيا محمد لقب « أمير المؤمنين »(٦) ، فقد كانت هذه الصفة مصدر إزعاج للسعديين الذين كانوا يعتبرونها حقاً لهم دون

---

(١) للدراسة التفصيلية عن ازدهار سنغاى أنظر : محمد أنور توفيق أبو علم : دول سنغى الأسلامية– تطورها الاقتصادى والإجتماعى والحضارى ١٤٩٣ – ١٥٩١ م – رسالة ماجستير بجامعة القاهرة .معهد الدراسات الأفريقية ١٩٧٧) .

(٢) د. عبد القادر زبادية : مملكة سنغاى فى عهد الأسيقيين ص ٤٠ .

(٣) تاريخ الفتاش ص ٢٢ .

(٤) انظر الخريطة رقم (٢)

(٥) Bovill : op. cit. p. 173.

(٦) أنظر ما يلى ص ٢٨٩

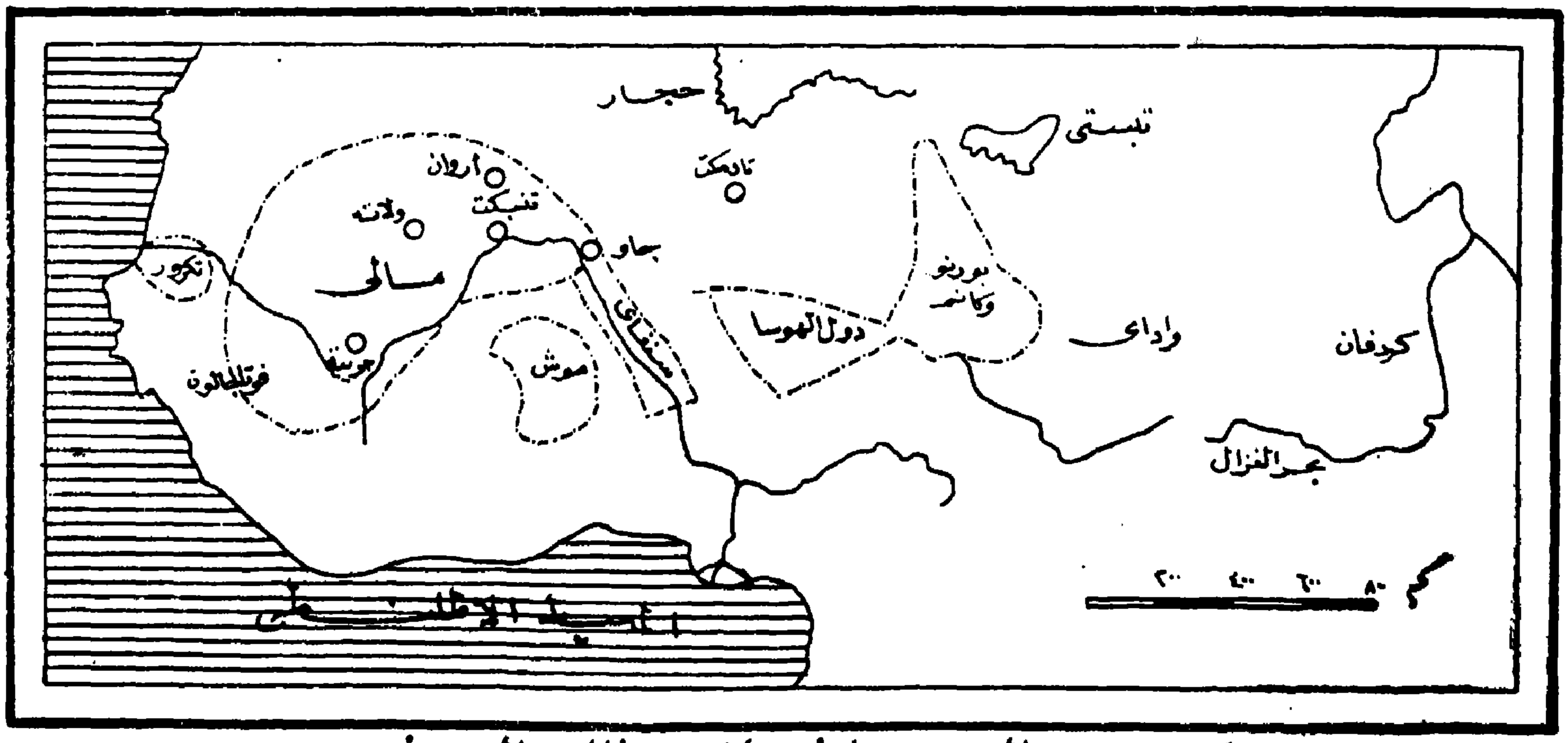

أهم الممالك السودانية فى غرب أفريقيا فى القرن الرابع عشر الميلادى

المصدر: Fage, J. D.: An Atlas of African History, P. 18, map 15.

غيرهم فى المنطقة ، واعتبروا آل أسكيا منافسين لهم فى الزعامة الروحية ، ومما أثار السعدين أيضاً إستيلاء الأسيكيين على مناجم الملح فى تغازة(١) .

وإنتهى الأمر بان إنتهز المنصور الذهبي ضعف سنغاى لتفشى الإضطرابات بها ، وأرسل حملته المشهورة بقيادة جودر إلى سنغاى فى المحرم ٩٩٩ هـ — ١٥٩١ م ، ولم يصمد شعب السنغاى أمام الأسلحة النارية الحديثة ، فاسدل الستار على دولة إسلامية كانت ملء السمع والبصر فى حوض النيجر الأوسط(٢) .

ويتضح من هذا العرض السريع لإمبراطوريتى مالى وسنغاى أن الفترة فيما بين القرنين الرابع عشر م والسادس عشر م تمثل عصر إزدهار كبير فى غرب أفريقيا ، أو فيما عرف فى العصور الوسطى باسم « السودان الغربى » وان تعددت واختلفت مراكز إشعاعه الحضارى ، ويقابل هذه الفترة الزمنية فى مصر قمة إزدهار عصر سلاطين المماليك حتى سقوط الدولة على يد العثمانيين فى أوائل القرن ١٠ هـ — ١٦م(٣) .

فمع بداية القرن ٨ هـ — ١٤ م أصبحت دولة المماليك فى مصر والشام أقوى وأغنى قوة إسلامية على مسرح العصور الوسطى ، وساعد على بلوغ الدولة المملوكية تلك المكانة من الإزدهار السياسى والإقتصادى ، ما كانت تتمتع به من مركز جغرافى ممتاز جعلها قلب العالم الإسلامى ، والقوة المسيطرة على طرق التجارة بين الشرق والغرب (٤) ، فضلا عن كونها مقر الخلافة العباسية ، وحامية الحرمين الشريفين ، والأماكن المقدسة فى بيت المقدس(٥) .

---

(١) د. نيقولا زيادة : مرجع سابق ص ٥٤ ، وللدراسة التفصيلية أنظر : الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الأسلاميتين مالى وسنغى رسالة ماجستير بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦ م .

(٢) الناصرى : الأستقصا ج ٥ ص ١٢١ ، وللدراسة التفصيلية أنظر : عبد الكريم كريم : عصر المولى أحمد المنصور الذهبى (رسالة غير منشورة بكلية الآداب جامعة عين شمس) .

(٣) د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٤) د. نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ١٢٦ .

(٥) د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص ص ٧٢ ، ٣٤٢ ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ١٥٥ .

ومن الطبيعى أن يقوم بين مصر بثقلها الإسلامى والحضارى وموقعها الجغرافى ، وبين الدول الإسلامية وشعوبها فى غرب أفريقيا علاقات قوية ومتنوعة فى شتى المجالات ، إذكان لإنتشار الإسلام فى غرب أفريقيا فى العصور الوسطى أثر بارز فى تعميق الصلات بين مصر وشعوب هذه المنطقة ، وبخاصة أن مصر تقع على طريق « الحج » بين دول غرب أفريقيا والأماكن المقدسة الإسلامية فى مكة والمدينة .

وكان لازدهار الثقافة والحضارة الإسلامية فى مصر فى ذلك العصر أثر كبير فى تفضيل شعوب غرب أفريقيا طريق مصر كطريق للحج ، فقد كانت زيارة مصر بالنسبة للكثير منهم جزءاً أساسياً من تلك الزيارة المقدسة للحج ، وتبع ذلك تعميق العلاقات والصلات السياسية والثقافية والإقتصادية بين مصر وشعوب غرب أفريقياً ، والواقع أن « الحج » ظل يمثل أقوى الراوبط التى ربطت شعوب غرب أفريقياً بالعالم الإسلامى(١) .

سلك سكان غرب أفريقياً — فى طريقهم إلى الحج — طرق القوافل التجارية المعروفة(٢) ، والتى تنقسم إلى قسمين : اما إلى الشمال عبر الصحراء إلى ساحل البحر المتوسط ثم الاتجاه شرقا إلى القاهرة ، وأما الاتجاه من تنبكت شرقا إلى جاو ثم أغاديس ثم غات ، ومنها إلى القاهرة حيث ينتهى بهم الطريق عند صحراء الأهرام(٣) .

وكان فى إمكان الحجاج مصاحبة القوافل عبر الطريق الأول ، إلا أنه كان أكثر تكلفة ، ولا يسلكه الحجاج الفقراء إلا إذا كانوا بصحبة حجاج أغنياء ، أو بصحبة كبار التجار ، أما طريق غات فكان أكثر استخداما ، فهو أكثر أمنا ،

---

(١) Trimingham : Islam in...p. 88., The Influence of Islam upon Africa, p.p. 63, 117.

(٢) أنظر الخريطة رقم (٢) .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٥ ص ٤٣٤ ،

Froelich, J.C. : Essai sur les causes et methodes de l'Islamisation de l'Afrique de l'ouest, in Islam in Tropical Africa, ed. I.M. Lewis, p. 164.

فهو أكثر أمنا ، فضلا عن أن الحاج يستطيع الحصول على مصاريف سفره على طول محطات الطريق ، اذ كان معظم الحجاج يحملون معهم بعض ما يتاجرون به أثناء طريقهم إلى الأماكن المقدسة (١) .

أما أولئك الذين كانوا يسافرون للحج سيراً على الأقدام من أهالى غرب أفريقياً ، فكانوا يسلكون الطريق الشرقى عبر أراضى سودان وادى النيل ثم عبر البحر الأحمر إلى الأماكن المقدسة ، ولكنه كان طريقاً محفوفا بالأخطار حتى بعد سقوط مملكتى المقرة وعلوة المسيحيتين وانتشار الإسلام فى هذه الجهات(٢) .

ويعتبر سلطان مالى منسا على (١٢٥٥ / ١٢٧٠) أول من زار مصر فى عصر سلاطين المماليك ، وذلك فى طريقه إلى الحج عام ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م فى عهد السلطان المملوكى الظاهر بيبرس (٣) .

كما أدى فريضة الحج من حكام مالى سيكرة أو ساكورة الذى اغتصب عرش مالى(٤) وذلك فى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م فى عهد سلطنة الناصر محمد الثانية (١٢٩٨ — ١٣٠٨) . وتعتبر رحلة سيكرة إلى الأراضى المقدسة أول رحلة لحكام مالى تصلنا بعض تفاصيلها ، فقد اتخذ موكب حجه طريق القوافل الشرقى عبر النيجر إلى تبستى ثم إلى واحات مصر . ومنها إلى القاهرة(٥) .

أما أشهر مواكب حج سلاطين مالى عبر الأراضى المصرية . وذات الأثر الهام فى مجال العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا فى العصور الوسطى . فكان موكب

---

(١) Trimingham : Islam in...p. 85.

(٢) نعيم قداح : أفريقيا الغربية فى ظل الأسلام ص ٧٠ ، وعن سقوط مملكة علوة أنظر : د.محمد محمد أمير : العبدلاب وسقوط ملكة علوة — مجلة الدراسات الأفريقية — العدد الثانى ١٩٧٣ ص ١٩١—٢١٧ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٣ ، المقريزى : يذهب المسبوك ص ١١٠ .
Monteil : op. cit. p. 75.

(٤) أنظر ما سبق ص ٢٧٦ .

(٥) القلقشندى : مصدر سابق ص ٥ ص ٢٩٤ ، المقريزى : مصدر سابق ص ١١١ ،
Monteil : op. cit. p. 77, le Chatelier, A. : l'Islam dans l'Afrique Occidentale, p. 81.

حج السلطان موسى ، إذا كان مجيء منسا موسى إلى مصر استهلالا بارعا لعلاقات قوية بين البلدين ، شملت كافة المجالات الحيوية من ثقافة وتجارة وفكر وعلوم وفنون ، وأصبح دخول مصر بالنسبة لحجاج غرب أفريقيا لايعنى فقط مجرد المرور فى طريقهم إلى مكة ، بل أصبح دخول مصر فى نظر أولئك الحجاج اتصالا عميقاً بحضارة عربية اسلامية متطورة وتراث عربى اسلامى عميق الجذور(١).

كان مرور منسا موسى بمصر فى طريقه إلى الحجاز ، وفى طريق عودته إلى بلاده أشبه بالأسطورة ، ولذا أفاضت المصادر العربية ، ومعظم الأوربية فى وصف ركبه واقامته بمصر .

ورغم أن الحج فريضة إسلامية واجبة على كل مسلم قادر ، إلا أن صاحب تاريخ الفتاش يضيف إلى ذلك سبباً لحج منسا موسى فيقول : « أن ملكى كنك موسى هو الذى قتل أمه نانا كنك خطأ ، وأسف لذلك وندم وخاف عقوبة ذلك ، وتصدق بمال جسيم وعزم على صوم الدهر ، وسأل بعض علماء زمانه عما يفعل فى الاستغفار لهذا الذنب العظيم ، فقال له أرى أن تفزع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهرب إليه وتدخل فى حرمته وتستشفع به ، وسيشفعه الله فيك »(٢) .

خرج منسا موسى من عاصمته « مالى » على النيجر سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م فى طريقه إلى الحج ، فسلك طريق القوافل الغربى الذى يبدأ من منحنى النيجر إلى المغرب عن طريق سجلماسة(٣).

خرج السلطان موسى من بلاده يركب جواداً ، ومعه ستون ألف جندى(٤)،

---

(١) د. سر الختم على : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٦٩) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ص ٣٣ .

(٣) خرج السلطان موسى من عاصمته مالى على النيجر إلى ولاتة ، ثم إلى توات ، أما الطريق الذى سلكه من توات إلى القاهرة فغير محقق ويحتمل أنه كان طريق وزقلان ثم إلى ساحل سرت ومنه شرقا إلى مصر — Bovill : op Cit. P.P. 87 , 88 .

(٤) يذكر محمود كعت أن حملة السلاح الذين خرجوا مع السلطان موسى « ثمانية آلاف » تاريخ الفتاش ص ٣٤ .

وبصحبته خمسمائة عبد ، بيد كل عبد قضيباً من ذهب ، زنة الواحد خمسمائة مثقال(١)، ويقال إن قدم معه أربعة عشر ألف جارية « برسم خدمته خاصة »(٢)، وكان منسا موسى« قد أعد لنفقته من بلاده ، فيما يقال ، مائة حمل من التبر ، فى كل حمل ثلاثة قنا طير »(٣) ، وفى رواية أخرى « ثمانين حملا من التبر »(٤) .

ورغم ما يبدو فى هذه الروايات من المبالغة فى الأرقام ، فانها تدل على فخامة موكب منسا موسى. وعلى مظهر الثراء الذى ظهر به أمام المصريين والعالم أجمع ، ولا عجب فى ذلك فدولة مالى تتحكم فى مناجم الذهب ، وهى « أرض التبر » ، وملكها هو « ملك الذهب » (٥).

أما بالنسبة لما صحب موكبه من جنود وجوارى ، فانى أرجح أن عدداً كبيراً من رجال مالى ونسائها انتهزوا فرصة خروج ملـــكهم إلى الحج لتأدية الفريضة معه وفى ركابه .

وصل منسا موسى إلى القاهرة فى رجب ٧٢٤ هـ / يوليو ١٣٢٤ م حيث استقبل بما يليق به من احترام وتقدير ، فأوفد السلطان الناصر محمد بن قلاون بعض كبار أمرائه لاستقباله . وعين المهمندار أبا العباس أحمد بن الحاقانى ليكون مرافقاً له أثناء إقامته بالقاهرة(٦) .

---

(١) السعدى : مصدر سابق ص ٧ ، والمثقال يساوى وزن ٧٢ حبة من الشعير أو ما يعادل $\frac{1}{8}$ أوقية من الذهب – القلقشندى : مصدر سابق جـ ٣ ص ٤٣٦ .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٢ ، ١١٣ ، ويذكر القلقشندى « إنه كان يحمل آلته اثنا عشر الف وصيفة لا بسات اقبية الديباج » صبح الأعشى جـ ٥ ص ٥٩٦ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ص ١٥٤ و ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ٢٠٠ و ٢٠١ .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ص ٤١ .

(٦) كانت وظيفة المهمندار تلقى الرسل والوفود الواردين إلى السلطان ، وكان عليه انزالهم بدور الضيافة أنظر القلقشندى : مصدر سابق جـ ٤ ص ٢٢ و جـ ٥ ص ٤٥٩ ،وعن المراسم الخاصة بالاستقبال أنظر : منى إبراهيم عبد الرحمن : السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٥) ص ١٣٧ وما بعدها .

وعند وصول منسا موسى إلى القاهرة قدم هدايا قيمة للسلطان الناصر محمد بن قلاون عبارة عن « حمل من التبر »(١) ، قدر ابن حجر قيمته بنحو « خمسة آلاف مثقال »(٢)، كما قدره غيره بنحو « خمسين ألف دينار»(٣) ، كما أن منسا موسى لم يترك بمصر « أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا بعث إليه بالذهب(٤) .

حضر منسا موسى مجلس السلطان الناصر محمد فأعفاه السلطان من تقليد تقبيل الأرض بين يدى السلطان « وقربه، وأكرمه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال « أردت الحج »، فرسم للوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه (٥) » ، وأمر السلطان بانزال ضيفه بقصر عند القرافة الكبرى، وأقطعه هذا القصر (٦) ، كما بعث الناصر محمد إلى ضيفه بالخلع الكاملة له ولأصحابه ، وخيلا مسرجة ملجمة ، وكانت خلعة منسا موسى « طرد وحش بقصب كثير ، بسنجاب مقندس . مطرز بزركش على مفرج اسكندرى ، وكلوته زركشى ، وكلاليب ذهب ، وشاش بحرير ، ورقم خليفتى ، ومنطقة ذهب مرصعة ، وسيف محلى ، ومنديل مذهب خز ، وفرسين مسرجين ملجمين بمراكب بغل محلاه ، وأعلام ، وأجرى عليه الانزال والاقامات الوافرة مدة مقامه » (٧) .

ولما آن وقت الرحيل إلى الأراضى الحجازية سار ركب منسا موسى ركبا وحده فى ساقة ركب الحاج المصرى(٨) ، بعد أن زود الناصر محمد ضيفه بما يلزمه من

---

(١) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق ج ٢ ورقة ٥٠٥ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٥ ص ص ١٥٤ و ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبية حوادث سنة ٧٢٤ هـ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص٤٣٤

(٤) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق ج ٢ ورقة ٥٠٤ ، ابن حجر : مصدر سابق ج ٥ ص ١٥٥ .

(٥) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٢ ، السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٥٥ .

(٦) ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٧) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق ج ٢ ورقة ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٥ .

(٨) يقصد بركب الحاج الركب السلطانى الذى تصحبه الكسوة الشريفة للحرمين ، أنظر الجزيرى: درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ص ١٨٨ ، وعن تنظيم ركب المحمل أنظر على بن حسين السليمانى : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٧٧ وما بعدها .

الهجن والأزواد له ولأصحابه ، كما أعد ما يلزم من العليق لدوابه ، على طول الطريق إلى الأراضى المقدسة ، كما أوصى الناصر محمد أمير ركب الحاج المصرى ، الذى صحب منسا موسى ، وهو الأمير سيف الدين أيتمش باكرام منسا موسى واحترامه والقيام بجميع ما يحتاجه (١).

وفى الحجاز أدى منسا موسى فريضة الحج ، وزار المدينة ، وأفاض على الحجيج وأهل الحرمين بالاحسان ، وطاب له المقام بالحجاز ، فبقى هناك نحو ثلاثة أشهر بعد انتهاء موسم الحج(٢) .

أنفق منسا موسى كل ما كان معه من أموال فى سفرته هذه ، حتى أنه عندما عاد إلى مصر احتاج إلى القرض ، فاستدان على ذمته من تجار مصر « بما لهم عليه فيه من المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم فى كل ثلثمائة دينار سبعمائة دينار ربحا(٣) » ، كما اضطر منسا موسى بسبب حاجته إلى المال إلى بيع القصر الذى أقطعه له الناصر محمد فاشتراه أحد كبار التجار وهو سراج الدين بن الكويك ، كما أقرضه ابن الكويك خمسين ألف دينار . وأقرض أمراءه ما احتاجوا إليه . كما « جدد له السلطان الكرامة وأوسع له فى الحباء »(٤) وأنعم عليه « بخيول وجمال »(٥).

وليس من شك فى أن خروج منسا موسى إلى الحج فى هذا الموكب كانت له آثار هامة على العلاقات الخارجية لدولة مالى بعامة ، وعلى العلاقات بين مصر ومالى بخاصة فى شتى المجالات(٦) .

---

(١) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ ، ابن خلدون : المصدر السابق ج ٥ ص ٤٢٤ ، ابن حجر مصدر سابق ج ٥ ص ١٥٥ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٦ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٤) ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة .

(٥) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣.

(٦) أنظر مايلى .

ومن حكام مالى الذين زاروا القاهرة فى طريقهم إلى الحج السلطان سليمان (١٣٤١ — ١٣٦٠) الذى خرج للحج فى عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م على رأس حجاج غرب أفريقيا ، فيذكر المقريزى فى حوادث هذه السنة « وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير ، وفيهم ملـــكهم ، فسأل ملـــكهم الاعفاء من الدخول على السلطان فاعفى ، وسار بقومه إلى الحج »(١) .

وتؤكد عبارة المقريزى ما سبق أن ذكرناه من أن سكان غرب أفريقيا كانوا ينتهزون فرصة خروج ملوكهم للحج للسير فى ركابهم لتأدية الفريضة ، وأن موكب السلطان موسى لم يقتصر على الجنود والعبيد ، بل ضم أساسا من خرج من أهل البلاد لتأدية الفريضة(٢) .

وما أن زالت دولة مالى ، وازدهرت دولة سنغاى الإسلامية حتى شهدت القاهرة فى سنة ٩٠٢ هـ — ١٤٩٦ م موكب حج الأسكيا محمد الكبير سلطان إمبراطورية سنغاى . فقد قرر أسكيا محمد بعد أن إطمأن إلى جهوده فى تنظيم دولته أن يسافر إلى المشرق لتأدية فريضة الحج ، والإطلاع على أحوال ممالك المشرق وطرق تسييرها . وحتى ترتفع مكانته بين أبناء شعبه بتأدية فريضة الحج (٣) .

حرص أسكيا محمد على أن يصحب معه فى طريقه إلى الأراضى المقدسة جمعاً كبيراً من العلماء والأعيان ، ليظهر أمام العامة بمظهر الملك الصالح القوى ، فسار فى موكب ضخم ، وفى كل بلد يمر به كان يستأذن فى الدخول من أميرها ثم ينفق بسخاء ، حتى يقال أنه أنفق فى حجه ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب ، أى عشرة أضعاف من أنفقه منسا موسى ، فقد أنفق أسكيا محمد مائة ألف قطعة ذهبية لتكاليف سفره مع حاشيته ، وأنفق مثلها كصدقات لفقراء مكة والمدينة ، كما إشترى قطعة أرض ومبنى بمكة يأوى إليه حجاج السودان الغربى . أما المائة الباقية فقد أنفقها فى شراء حاجات وهدايا من أسواق مكة والقاهرة(٤) .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٨٥٥ .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٨٤ .

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ص ص ١١ ، ١٢ .

(٤) السعدى : مصدر سابق ص ٨٣ . د. عبد القادر زبادية : مرجع سابق ص ٣٧ .

لم تجتذب قافلة حج أسكيا محمد الكبير إهتمام حكام مصر ، كما حظى موكب منسا موسى من قبل ، ولعل ذلك راجع للاضطرابات التى كانت سائدة فى مصر فى ذلك الوقت(١) .

كانت هذه أشهر مواكب حجاج غرب أفريقيا فى عصر سلاطين المماليك(٢) ، والتى كانت حجر الزاوية فى العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا فى العصور الوسطى .

أما فى مجال العلاقات السياسية بين مصر وغرب أفريقيا فى العصور الوسطى ، فليس فى المصادر والمراجع المتداولة ما يشير إلى أن العلاقات السياسية بين المنطقتين كانت تستوجب نوعا من الإلتزامات ، ويبدو أن العلاقات كانت تسير حرة غير مقيدة بشرط(٣) .

وكان لإحياء الخلافة العباسية فى القاهرة على يد السلطان المماوكى الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩ هـ — ١٢٦١ م (٤) أثر كبير فى توطيد العلاقات السياسية بين مصر والدول الإسلامية فى غرب أفريقيا ؛ إذ حرص حكام السودان الغربى على أن يحيطوا

---

(١) سادت مصر بعد وفاة السلطان قايتباى سنة ٩٠١ هـ — ١٤٩٦ فترة من الفوضى وعدم الأستقرار حتى أنه ولى عرش مصر فى أقل من خمس سنوات خمسة من السلاطين ، مكث أحدهم على العرش ثلاثة ايام — ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٢٤ وما بعدها ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ١٧٦ ، وللدراسة التفصيلية أنظر د. عبد العظيم حامد خطاب : قانصوة الغورى ونهاية الدولة المملوكية (رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب عين شمس ١٩٧٣) ص ١٤ وما بعدها .

(٢) شهدت القاهرة مواكب حجاج التكرور عاما بعد عام ، وفى كتب الحوليات المعاصرة اشارات لهذه المواكب وكثرة عددها دون تحديد فتذكر مثلا « حجاج لا يحصى عددهم إلا الذى فطرهم » : أنظر ما جاء عن حجاج التكرو فى حوادث سنوات ٧٨٥ هـ ، ٧٩٠ هـ ، ٨٤٢ هـ ، ٨٤٧ هـ ، ٨٤٩ هـ ، ٨٥٠هـ ، ٩١٩ هـ فى ابن الصيرفى نزهة النفوس والأبدان ، المقريزى : السلوك ، السخاوى : التبر المسبوك ، ابن حجر : انباء الغمر ، ابن اياس : بدائع الزهور .

(٣) سر الختم عثمان : مرجع سابق ص ٩٩ ، وينفرد ابن أيبك بالقول «أن السلطان موسى ألتزم أن يخطب فى بلاده باسم مولانا السلطان (الناصر محمد) وكذلك السكة ، وهذا ما عهد لصاحب مصر عند مولانا السلطان — ابن أيبك» ؛ كنز الدرر وجامع الغرر ج ٩ بعنوان الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر — تحقيق هانس روبرت رويمر ص ٣١٧ .

(٤) عن احياء الخلافة العباسية بالقاهرة والنتائج التى ترتبت على ذلك بالنسبة لمصر والعالم الاسلامى أنظر د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ص ٣٤٢-٣٤٧ .

سلطانهم بسياج من الشرعية لتدعيم ملكهم فى نظر رعاياهم ، ومن هنا فان كثيراً من سلاطينهم كانوا يطلبون من الخليفة العباسى بالقاهرة تقليدا بتفويضهم الحكم فى بلادهم ، وعادة كان الخليفة العباسى بالقاهرة يمنح هذه التقليد .

ويزداد حرص حكام غرب أفريقيا على الحصول على تقليد الخليفة العباسى فى حالة قيام أسرة جديدة فى الحكم ، ومثال ذلك ما ترويه المصادر عن أسكيا محمد الكبير الذى خرج إلى الحج لإكساب حكمه الشرعية (١) ، ولا يستبعد أن يكون من أغراض خروجه للحج مقابلة الخليفة العباسى بالقاهرة والحصول منه على تقليد بالسلطنة فى بلاده ، ولا سيما وأنه تولى الحكم بثورة على الحاكم السابق(٢) .

وتحرص المصادر السودانية على أن تؤكد حصول أسكيا محمد على تقليد ومبايعة بالخلافة الإسلامية بارض التكرور (٣) ، ولكنها تنسب هذا التقليد إلى الشريف الحسنى مولاى العباس أمير مكة ، ويذكر محمود كعت — وهو من مرافقى أسكيا محمد — قصة هذا التقليد بقوله : « وأما الشريف الحسنى مولاى العباس فكان مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أسكى الحاج محمد جالسا بحذاء الكعبة يتحادثان ، فقال له الشريف مولاى العباس : يا هذا أنت الحادى عشر من الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك جئتنا ملكا والملك والخلافة لا يتفقان ، فقال له كيف ذلك يا سيدى ؟ فقال له مولاى العباس لا سبيل إلى ذلك إلا أن تخرج عما أنت فيه ، فاذعن له أسكى طوعاً ، وطرد جميع الوزراء عنه ، وجمع جميع آلات السلطنة وأموالها وجعل ذلك كله بيد العباس وقعد عازلا لنفسه ،ودخل مولاى العباس فى الخلوة ثلاثة أيام ، ثم خرج يوم الجمعة ، ونادى أسكى الحاج محمد وأجلسه بمسجد البلدة الشريفة مكة ، وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء ، وأعطاه سيفاً ، وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بارض التكرور ، وأن كل من خالفه فى تلك الأرض فقد خالف الله تعالى ورسوله »(٤) .

---

(١) أنظر ماسبق ص ٢٧٧ ، ٢٨٧ .

(٢) محمد أنور أبو علم : مرجع سابق ص ٤٠ وما بعدها .

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ص ١٥ ، ١٦ .

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ص ١٢ ، وقد أورد السعدى ملخصا لهذه القصة التى وردت بتاريخ الفتاش أنظر تاريخ السودان ص ٧٣ .

ثم يعود محمود كعت ويربط بين هذا التقليد وبين إعتراف العالم المصرى جلال الدين السيوطى بأن أسكيا محمد أحد الخلفاء فيقول : « ثم تهيأ اسكى الحاج محمد للرجوع ، فلما وصل مصر وجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطى ، فساله اسكى عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيأتون بعده ، فقال الشيخ هم اثنا عشر ،خمسة منهم بالمدينة ، وإثنان بمصر ، وواحد بالشام ، وإثنان بالعراق وقد مضى هؤلاء كلهم وبقى إثنان بأرض التكرور أنت أحدهما »(١) .

أما المراجع الحديثة فتذكر أن من لقيه الأسكيا محمد فى مكة هو الخليفة العباسى (٢) ومنها ما تذكر صراحة أن لقاء أسكيا محمد بالخليفة العباسى كان بالقاهرة « ولما عاد الملك من الحج قابل الخليفة العباسى فى القاهرة وطلب إليه أن يسافر معه ليتولى حكم السودان ، ولكن الخليفة أقره على السودان بلقب خليفة ، وقد قدم له محمد الحاج كثيراً من الهدايا »(٣) .

ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فانها تدل دلالة صريحة على حرص حكام الدول الإسلامية فى غرب أفريقيا على الحصول على تقليد بالحكم فى بلادهم من الخليفة العباسى ، ومن المعروف أن صاحب الحق فى منح مثل هذا التقليد هو الخليفة العباسى بالقاهرة وليس أمير مكة ، وأن ما ورد فى المصادر السودانية قد يرجع إلى الخلط فى الروايات .

والواقع أن تقليد أسكيا محمد بالخلافة أمر مستبعد ، فأمير مكة — طبقاً لروايتى محمود كعت والسعدى — لا يملك هذا الأمر ، كما أنه من المستبعد أن الخليفة العباسى بالقاهرة يقلد شخصاً آخر بالخلافة حتى ولو كان بالسودان الغربى ، ولا يخرج الأمر على أن يكون إعتراف الخليفة العباسى بالقاهرة بولاية أسكيا محمد لحكم السنغاى ، ويؤكد هذا الرأى ما ذكره محمود كعت نفسه — فى مناسبة أخرى — على لسان أسكيا محمد لإبنه إسماعيل ، أن شريف مكة الذى هو أميرها قال له : « أنت أميرى

---

(١) محمود كعت : نفس المصدر ص ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٩ .

(٣) نعيم قداح : أفريقيا الغربية ص ٧١ .

ونائبي وخليفتي فى إقليمك » ، فرد عليه أسكيا محمد بقوله : « وأنت أمير المؤمنين وأنا خليفته وأميره ونائبه » (١) ، فكلمة خليفة هنا بمعنى نائب .

وتتمثل العلاقات السياسية أيضاً فى المراسلات المتبادلة بين سلاطين المماليك وحكام دولتى مالى وسنغاى ، من ذلك الخطاب الذى أرسلة منسا موسى إلى الناصر محمد بن قلاون يمهد فيه لمجيئه إلى مصر فى طريقه إلى الحج ، وراعى فيه تقاليدا معينا ، فيذكر العمرى أن السلطان موسى كان فى خطابه هذا « يمسك فيه ناموساً لنفسه »(٢) .

ونظراً لكثرة العلاقات وتوثقها ، وجد فى دواوين سلطنة المماليك صيغ ثابتة لمخاطبة ملوك السودان الغربى ، وهذه الصيغ معدة فى ديوان الإنشاء لتصدر بها المكاتبات الرسمية . ومن هذه الصيغ : « أدام الله نصر المقر العالى السلطان الجليل الكبير ، العالم العادل ، المجاهد المؤيد الأوحد ، عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الخلافة ، ظهير الإمامة ، عضد أمير المؤمنين ، الملك فلان »(٣) .

كما وجدت صيغة مختلفة فى كتاب تثقيف التعريف ، وهى : « أعز الله تعالى جانب الجناب الكريم العالى الملك الجليل ، العالم العادل ، المجاهد المؤيد ، المثاغر المرابط ، العابد الخاشع ، الناسك الأوحد ، ذخر الإسلام والمسلمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، عون جيوش الموحدين ، ركن الأمة ، عماد الملة ، جمال الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين »(٤) .

وجاء فى بعض الرسائل دعاء للملك التكرور منه « ووطن وفور السعادة داره ، وشد عرى ملكه بالتأييد الذى لا ينفصم عراه ، ولا زال تمهيده ممنوحاً بالبسط

---

(١) محمود كعت : مصدر سابق ص ٨٦ .

(٢) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٧ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٨ ص ٩ .

(٣) ابن فضل الله العمرى : التعريف ص ٢٨ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٨ ص ص ٩-١١.

(٤) المجى : تثقيف التعريف (مخطوط بمكتبة كتابخانة آستان قدس - مشهدايران - رقم ١٩٣ ورقة ١٢ .

والإقتدار ، وسيفه مقروناً بالعزة والإنتصار ، وعزمه منوطاً بالسداد والإبتدار ، وعدله يبلغ أرباب الحقوق من حصونها فى أيديهم ، نهاية الأمل وغاية الأوطار » (١).

كما كانت هناك الهدايا المتبادلة بين حكام السودان الغربى وسلاطين المماليك(٢) ، مثال ذلك عندما وصل السلطان موسى إلى القاهرة فى طريق عودته من الحج إلى بلاده بعث إلى السلطان الناصر محمد « من هدية الحجاز تبركاً »(٣)، و« جاملة بالجميل والألطاف » (٤) ، فاجابه السلطان الناصر محمد بالخلع له ولمن بقى معه من أصحابه ، فضلا عن « التحف والألطاف من البز الإسكندرى والأمتعة الفاخرة »(٥) .

وكان لمواكب الحج القادمة من السودان الغربى عبر الأراضى المصرية أثر كبير فى الأوضاع الإقتصادية فى كل من مصر والسودان الغربى ، فضلا عن آثارها فى العلاقات الإقتصادية بين البلدين .

إعتاد حجاج السودان الغربى أن يقضوا فترة فى القاهرة ، إنتظاراً لموعد رحيل ركب الحجاج المصرى ، لا تقل عن ثلاثة أشهر (٦) ، وقد يبقى بعض هؤلاء الحجاج فترات أطول إذا ما مكثوا لتلقى العلم فى الأزهر أو فى إحدى مدارس القاهرة ،

---

(١) من مجموعة رسائل بالمكتبة الأهلية بباريس تحت عنوان :

Recueils des Correspondance au xves entre les Sultan s Mamluk et les Couvraus Contemporair, B.N. No. 440. p. 69.

(٢) أنظر ما سبق ص ٢٨٥ عن الهدايا والخلع التى قدمها السلطان الناصر محمد إلى السلطان موسى عندما وصل إلى القاهرة فى طريقة إلى الحج .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٩ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٥ ص ١٥٥ ترجمة موسى بن أبى بكر سالم التكرورى رقم ٤٩٠٤ .

(٥) القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٦ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الأسلامية ص ٨٥ .

(٦) مثال ذلك أن السلطان موسى وصل إلى مصر فى شهر جمادى الأولى ٧٢٤ هـ ودخل القاهرة فى ١٦ رجب ، ثم رحل مع موكب الركب المصرى إلى الحجاز فى ١٨ شوال من نفس العام – المقريزى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، وعن مواعيد خروج ركب الحاج المصرى وعودته أنظر على بن حسين السليمانى : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٦٤ وما بعدها .

وفى خلال هذه الفترة يتعرف حجاج السودان الغربى على المنتجات المصرية ، والسلع المعروضة بأسواق القاهرة ، كما أنهم قد يبيعون فى أسواق القاهرة بعض السلع التى حملوها معهم ، أى أن هذه الفترة كانت فرصة للتعرف على السلع المختلفة ، وللتبادل التجارى فى نطاق محدود .

وتجلت هذه الظاهرة على نطاق واسع أثناء موكب حج السلطان موسى ، فكان لضخامة الركب ، ولكثرة الأموال التى حملها السلطان موسى وأتباعة أثر كبير فى نشاط حركة البيع والشراء فى أسواق القاهرة ، وفى ذلك يقول ابن أيبك : « إن ملك التكرور وأصحابه إشتروا من القاهرة ومصر من سائر الأصناف ، وظنوا أن مالهم لا ينفذ ، فلما إستغرقوا فى المشترى ووجدوا أن أصناف هذه الديار لا لها حد يحد ، وكل يوم ينظروا شيئاً أحسن من شئ ، نفذ ما كان معهم ، وإحتاجوا للقرض » (١) ، فكان الحاج المصاحب لركب السلطان موسى يدفع الواحد منهم بسهولة خمسة دنانير ثمنا لثوب لا يساوى أكثر من دينار واحد(٢) .

جذبت المنسوجات المصرية الجميلة ، والجوارى الحسان ، والغلمان الترك (٣) أنظار السلطان موسى وصحبه فاقبلوا على الشراء حتى إنخفض سعر الذهب فى القاهرة بسبب إغراقها بذهب السودان ، ولكثرة الذهب فى أيدى الناس (٤) ، ولم يستعد الذهب سعره الأول إلا وقت قدوم ابن فضل الله العمرى إلى القاهرة ، بعد إثنتى عشرة سنة من زيارة منسا موسى للقاهرة(٥) .

---

(١) ابن أبيك : كنز الدرر جـ ٩ بعنوان الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ص ٣١٦ .

(٢) د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٨٤ ،

Bovill : op. cit. p. 88.

(٣) من هؤلاء الغلمان الترك كان يقف خلف سلطان مالى – إذا جلس بقصره – نحو ثلاثين مملوكا من الترك وغيرهم « ممن يبتاع له من مصر » ابن فضل‌الله العمرى : مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٨ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٣٠٠ ، ابن بطوطة : تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٥.

(٤) ابن‌حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ ، ويذكر المقريزى أن الدينار الذهب نقص سعره ستة دراهم – السلوك جـ ٢ ق١ ص ٢٥٥ ، الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٥) Bovill : op. cit. p. 88.

وإذا كان اغراق الأسواق المصرية بذهب السودان الغربى أدى إلى إنخفاض سعر الذهب فى مصر ، فقد لعب المصريون دوراً مشابها بالنسبة لأسواق السودان الغربى ، وذلك فيما يتعلق بالودع الذى كانت تجلبه القوافل المصرية من الهند وشرق أفريقيا ، وتنقله إلى السودان الغربى ، فقد كان الودع يتعرض سعره للارتفاع والإنخفاض تبعاً لورود القوافل المصرية(١) ، ومن المعروف أن الودع كان يستخدم كنوع من العملة فى السودان الغربى(٢) .

وكنتيجة مباشرة لمواكب حجاج السودان الغربى عبر الأراضى المصرية ، أصبحت مختلف السلع المعروضة فى أسواق القاهرة معروفة تماماً ، بل ومطلوبة أيضاً فى السودان الغربى ، مما أدى إلى ازدهار عمليات التبادل التجارى بين مصر من ناحية وبين دولتى مالى وسنغاى من ناحية أخرى .

ونظراً لضخامة التبادل التجارى بين مصر والسودان الغربى ، لم يكن لسكان مدينة تكدة(٣) — المركز الرئيسى لتجارة القوافل مع مصر — من عمل سوى التجارة مع مصر ، فيسافرون إليها فى كل عام لجلب أزهى الثياب وغيرها من مختلف المنسوجات المصرية . والتى يتباهى باقتنائها عظماء القوم(٤) ، كما حملوا إلى مصر النحاس المستخرج من مناجم تكدة(٥) .

وليس أدل على ازدهار التجارة بين مصر والسودان الغربى مما تذكره المراجع من أن قافلة قامت من مدينة مالى العاصمة . وتوجهت نحو مصر عن طريق تكده ،

---

(١) Delofosse, M. : Haut-Senegal — Niger, Vol. 2, I'Histoire, p. 264.

(٢) كان سكان السودان الغربى يتعاملون بالذهب دون سك ، فيذكر البكرى أن « دنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة » : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ص ١٨١ .
وانظر أيضاً : L'eon L'Africain : Description de l'Afrique, Vol. I.p. 165

(٣) تقع بين جاو واير على طريق الحج عبر الصحراء أنظر :
Bovill : op. cit. p. 98

(٤) ابن بطوطة : مصدر سابق جـ ٤ ص ٤٣٩ ، إبن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ٢٠١ .

(٥) إبن بطوطة : نفس المصدر جـ ٤ ص ٤٣٩ ، ٤٤١ ، إبن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ ،
Bovill : op. cit. p. 94, Les Memoires de l'Africque, ed Robert Laffont, p.214.

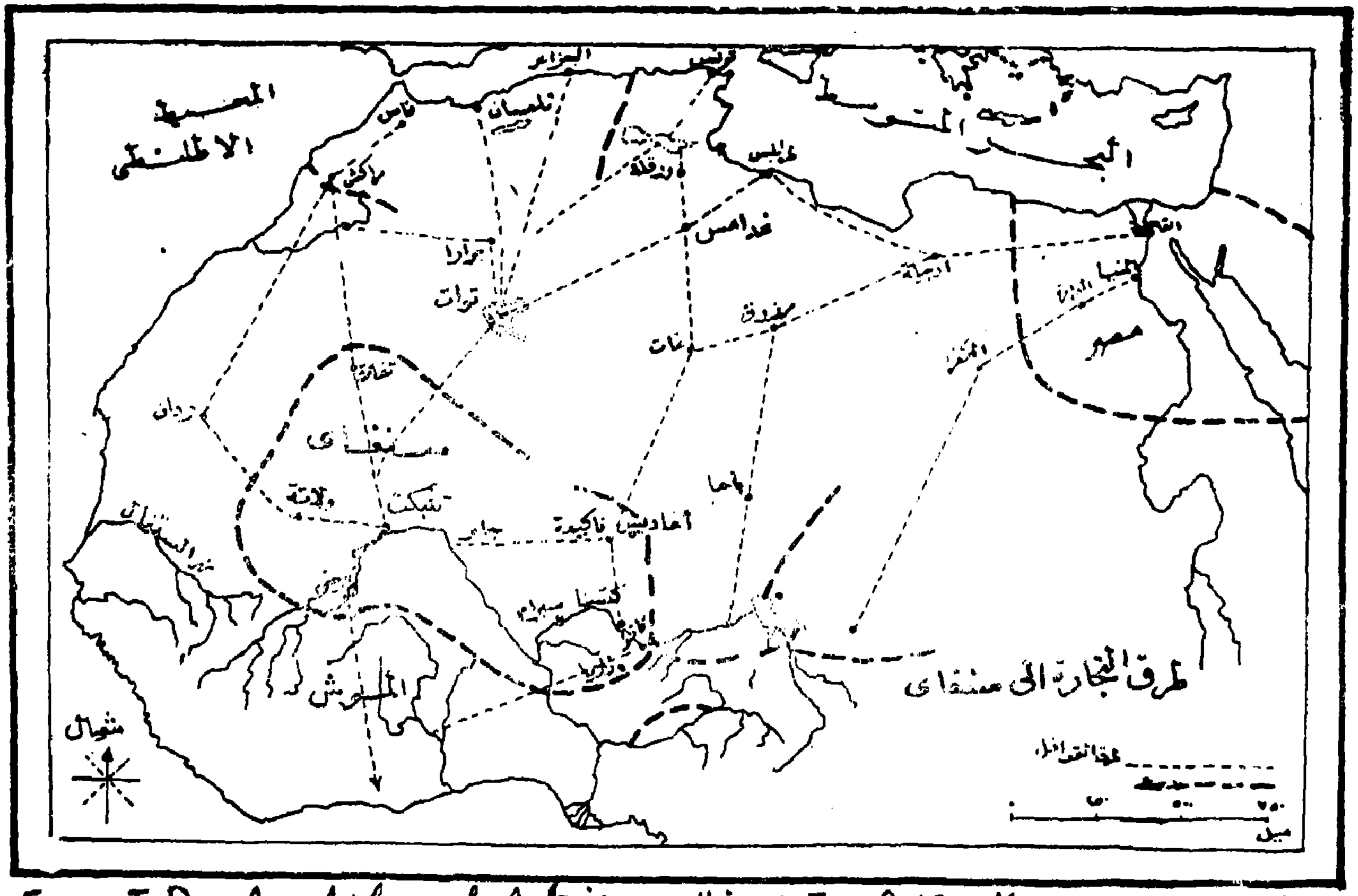

المصدر: Fage, J. D.: An Atlas of African History, P. 17, Map. 13.

بلغ عددها ١٢ ألف جمل[١] ، ورغم المبالغة الظاهرة فى هذا الرقم فانه يدل على ضخامة التجارة المتبادلة بين مصر ومالى .

وكانت المنسوجات والكتب هى أهم ما حمله التجار المصريون إلى مالى وسنغاى فى العصور الوسطى ، وكانوا يعودون عادة بمنتجات السودان الغربى ، وعلى رأسها الذهب[٢] ، وريش النعام ، وبيض النعام ، والتوابل والعنبر[٣] .

ونتج عن زيادة المعاملات بين مصر والسودان الغربى أن أصبحت « الدراهم التكرورية » معروفة بمصر ، بل ومن أهم العملات المتداولة فى مصر نظراً لثبات قيمتها فى السوق ، وجودة عيارها ، وليس أدل على ذلك من أن السلطان برسباى عندما أراد اصلاح أحوال العملة فى مصر سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣ م « رسم السلطان ألا يتعامل إلا بالدراهم المصكوكة بالديار المصرية والشامية ، وتبطل ما سوى ذلك خلا الدراهم التكرورية »[٤] .

وتبعاً لازدهار التبادل التجارى بين مصر والسودان الغربى فقد وجدت جاليات مصرية بمدن مالى وسنغاى ، سواء كانوا من التجار ، أو من الفقهاء والعلماء .

فمن المصريين الذين سافروا إلى مالى وكيل ابن الكويك الذى سافر صحبة منسا موسى ليستوفى حقوق موكله[٥]، ولكنه توفى فى الطريق ، فاضطر سراج الدين بن الكويك أن يسافر بنفسه إلى بلاط مالى ، وصحب معه ابنه فخر الدين أبو جعفر ، وفى تنبكت توفى سراج الدين ، ودفن هناك ، وقد زار ابن بطوطه قبره هناك سنة

---

(١) Bovill : op. cit. p. 94.

(٢) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٣ ص ٤٦١ ،

Lombard, M. : l'Or Musulman du viie au xie Seicle, Annales (E.S.C.) 11(1947) p. 148 .

(٣) د . عبد القادر زبادية : مرجع سابق صفحات ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) إبن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ٣ ص ٢٤ ،

Darrag, A. : L'Egypte sous Le Regne De Barsbay, p. 100, Garcin, J.C. : Un Centre Musulman de la Haute—Egypte Medievale, Qus, p. 428.

(٥) أنظر ما سبق ص .

٧٥٤هـ / ١٣٥٣م[١] ، فتابع الابن رحلة أبيه حتى وصل إلى مالى العاصمة ، واستوفى دين أبيه ، ثم عاد إلى مصر[٢] .

كما لجأ بعض التجار المصريين إلى أرسال وكلائهم إلى السودان الغربى لمباشرة أعمالهم التجارية ، ومن هؤلاء التاجر المصرى الشهير محمد بن مسلم بن أحمد البالسى[٣] الذى كان يرسل وكلاءه إلى بلاد التكرور « ويعودون له بالأرباح الكثيرة المفرطة »[٤] .

وازدادت أعداد التجار المصريين بالسودان الغربى ، كما ازدادت أيضاً ثروتهم ، وليس أدل على ذلك من أنه عندما أراد سلطان مالى مارى جاطة الثانى (١٣٦٠ — ١٣٧٤) أن يبيع حجر الذهب الموجود فى خزائنه ، ويزن عشرين قنطاراً ، عرضه على « تجار مصر المترددين إلى بلده ، وابتاعوه منه بأبخس ثمن »[٥].

وكانت كثرة عدد الأجانب ، وبخاصة المصريين فى دولة سنغاى دافعا للأسكيا محمد سلطان سنغاى (١٤٩٣ — ١٥٢٨) لتعيين وزير يختص بشئون الأجانب ، وهو الذى أطلق عليه اسم « كورى فارما »[٦] .

وفى مجال العلاقات الثقافية يمكن القول أنها كانت أقوى العلاقات بين مصر والسودان الغربى منذ أقدم العصور ، ومن الطبيعى أن تزداد هذه العلاقات منذ العصر الإسلامى ، فقد كانت مصر من المنابع التى جاء منها الإسلام إلى غرب أفريقيا ، وما أن ازداد انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا ، وما تبعه

---

(١) إبن بطوطة : مصدر سابق جـ ٤ ص ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، السعدى : مصدر سابق ص ٨ .

(٢) السعدى : نفس المصدر ص ٨ ، د . إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٨٦ .

(٣) توفى سنة ٧٧٦ هـ /١٣٧٤ م إبن حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ٢٦ ترجمة رقم ٤٥٧٥ ، أنباء الغمر جـ ١ ص ٩٩ ترجمة رقم ٩٤ ، إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ١٣٢ .

(٤) إبن حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ٢٦ .

(٥) إبن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٧ .

(٦) د . عبد القادر زبادية : مرجع سابق ص ٥٩ .

من انتشار اللغة العربية أيضاً حتى ازدادت العلاقات الثقافية بين مصر ودول السودان الغربى(١) .

وكان لموقع مصر فى قلب العالم الإسلامى ، وعلى طريق الحج بين السودان الغربى والأماكن المقدسة أثر كبير فى توافد الكثيرين من أبناء السودان الغربى على مصر للدراسة فى مدارسها وفى الجامع الأزهر ، سواء وهم فى طريقهم إلى الحج أو فى طريق عودتهم إلى بلادهم ، حتى احتاجت هذه الوفود إلى مكان ثابت ينزلون فيه خلال رحلتهم ، ومن أجل ذلك ، ومنذ أواخر العصر الأيوبى ، بنوا مدرسة فى فسطاط مصر ، عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، لتدريس المذهب المالكى ، فضلا عن استخدامها نزلا للوافدين (٢) ، إذ قامت طائفة من حجاج « الكانم من طوائف التكرور »(٣) بدفع مبلغ من المال للقاضى علم الدين بن رشيق لبناء مدرسة للمالكية عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، كانت منزلا لحجاج التكرور عند مرورهم بمصر ، و « صار لها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة ، وكانوا يبعثوا إليها فى غالب السنين المال »(٤) .

ومع استعادة الأزهر لمكانته منذ بداية عصر سلاطين المماليك(٥) ، لم يلبث

---

(١) عن إنتشار اللغة العربية فى غرب أفريقيا أنظر : د . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى – مجلة جامعة أم درمان الإسلامية – العدد الثانى ١٣٨٩ هـ /١٩٦٩م ص ص ١ – ٨٨ .

(٢) القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٨١ .

(٣) إذا كانت طوائف الكانم هى التى أسست المدرسة ، فليس من المستبعد أن ينزل بها حجاج التكرور من سكان السودان الغربى بصفة عامة ، وهو ما يتضح من استخدام إبن دقاق والمقريزى للفظ التكرور دون الكانم فيما بعد فى كلامهما عن مدرسة إبن رشيق .

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٥ ، إبن دقاق : الانتصار ق ٤ ص ٩٦ .

(٥) منذ بداية العصر الأيوبى منعت صلاة الجمعة فى الأزهر ، ولكن لم تبطل صفته الجامعة ، وظل الحال على ذلك حتى أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة إلى الأزهر سنة ٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م مما ساعد على إزدهاره فى العصر المملوكى – المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٥٦ ، د . عبد الرحمن زكى : الأزهر وما حوله من الآثار ص ص ٢٦ ، ٢٧ .

أن أصبح أكبر جامعة اسلامية فى مصر وفى العالم الإسلامى ، وتبوأ مركز الزعامة الفكرية والثقافية ، وأن غلبت الصفة الدينية على برامجه وحلقاته(١) .

اجتذب الأزهر الطلاب والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، ومن بينهم طلاب وعلماء السودان الغربى الذين عرفوا بالتكرور . والذين اختصوا بأحد أروقة الأزهر (٢).

ومن أمثلة العلماء الذين وفدوا على مصر من سكان السودان الغربى أحمد بن عمر بن محمد أقيت — جد العالم السودانى أحمد بابا التنبكتى — ، وكان « نحويا لغويا عروضيا محملا بارعا حافظا » ، فقد رحل إلى المشرق ، ولقى العالم المصرى عبد الرحمن السيوطى . وعندما عاد إلى تنبكت تصدر للتدريس حتى وفاته سنة ١٩٤٢هـ ١٥٣٥ م(٣) .

ومن التكارررة الذين نبغوا فى العلم فى مصر صبيح بن عبد الله التكرورى الكلوتاتى . والذى اشتغل بتدريس الحديث بالقاهرة ودمشق حتى وفاته سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م(٤) .

ومن صلحاء التكرور الذين عاشوا بمصر ، وكان للمصريين فيهم اعتقاد الشيخ رشيد الأسود التكرورى الذى اتخذ من جامع راشده مكانا للخلوة والانقطاع والعبادة ، والذى توفى بالقاهرة سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م(٥) .

---

(١) د . سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ١٦١ ، د . عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) كان بالأزهر لطلاب وعلماء السودان الغربى رواق البرنية — نسبة إلى برنو — ولم يقتصر على أبناء برنو بل إتسع ليشمل أبناء منطقة شاسعة من السودان الغربى ، كما كان هناك رواق التكارررة أيضاً — سليمان رصد : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ص ١٠٥ ، محمد عبد المنعم خفاجى الأزهر فى الف عام ص ٧٢ .

(٣) أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج — ترجمة أحمد بن عمر بن محمد أقيت .

(٤) إبن حجر : الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٣٠٤ ترجمة رقم ١٩٧٥ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق ٢ ق ٢ ص ٨٢١ ، المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٨٢ .

وأوردت كتب التراجم ، وبخاصة كتب طبقات المالكية(١) تراجم العديد من رجالات السودان الغربى الذين رحلوا إلى مصر سواء لتلقى العلم أو للتدريس بها ، وكذلك تراجم بعض فقهاء وقضاة المالكية المصريين الذين رحلوا إلى السودان الغربى(٢) .

ومن التكارزة من خدم بالجيش المملوكى ، ووصل إلى الرتب العالية ، ومن هؤلاء عنبر التكرورى الذى رقاه قايتباى سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م إلى نائب مقدم المماليك ، ثم رقى بعد ذلك إلى مقدم المماليك(٣) .

وكما كانت بالسودان الغربى جالية مصرية أغلبها من التجار ، فقد كان بمصر جالية من التكارزة أغلبها من طلاب العلم والعلماء ، وذلك منذ العصر الفاطمى ، وممن اشتهر منهم فى مصر الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى ، أحد العلماء « وكان يعتقد فيه الخير » ، وهو الذى تنسب إليه منية بولاق والتى عرفت باسم « بولاق التكرورى »(٤) .

واهتم سلاطين المماليك بجالية التكارزة فى مصر ، والذين كانوا فى الغالب طلاب علم ومعظمهم من الفقراء ، ومن مظاهر هذا الاهتمام مايذكره المقريزى من أن بركة خان بن الظاهر بيبرس « عمل للتكارزة والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير »(٥) .

واصطحب طلاب العلم من التكارزة نساءهم وأطفالهم إلى مصر ، مما أدى إلى ازدياد أعداد جالية التكارزة ، ويؤكد هذا القول ما ترويه بعض المصادر

---

(١) كان المذهب المالكى هو المذهب السائد فى السودان الغربى .

(٢) أنظر على سبيل المثال إبن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج .

(٣) إبن إياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٢١ .

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٢٦ ، وتعرف حالياً بإسم بولاق الدكرور ، أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ جـ ٣ ص ٩ ، ١٠ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٦٤٩ ، إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات جـ ٧ ص ١١٥ .

من أنه فى سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م « كان بالقرافة الكبرى والصغرى من التكرور السودان نحو الثلاثة آلاف بين رجال ونساء وصغار »(١) .

وازاء كثرة أعداد التكاررة بمصر عمد بعض سلاطين المماليك إلى تعيين أحد الموظفين ممن لهم المام بلغة التكرور فى بعض دواوين الحكومة ، وكان هذا الموظف يشغل منصباً كبيراً(٢) ، كما يذكر ابن خلدون أنه كان للتكاررة ترجمان بمصر هو الحاج يونس التكرورى(٣) .

وكانت زيارة منسا موسى للقاهرة فرصة طيبة لتوثيق العلاقات الثقافية بين مصر والسودان الغربى ، فقد حرص منسا موسى على شراء « عدة كتب من فقه المالكية » ليوفر لأهل مملكة طرفا من الثقافة المصرية(٤) ، كما اصطحب معه فى طريق عودته إلى بلاده عدداً كبيراً من العلماء ولا سيما من مصر والمغرب والأندلس(٥) .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكتب من أهم ما يستورده سكان السودان الغربى من مصر ، وبخاصة فى عهد الأسيكيين حيث نشأت حرفة الوراقين تقليداً لما كان موجوداً فى المغرب ومصر(٦) .

واشتهرت بالسودان الغربى مدن تنبكت ، ومالى ، وجنى ، وجاو كمراكز للثقافة الإسلامية ، وقد عاش العلماء المصريون فى هذه المراكز ، ومن العلماء المصريين الذين لقيهم ابن بطوطة فى رحلته لدولة مالى الفقيه شمس الدين التقويشى المصرى ، فضلا عن الطبيب المصرى الذى عالج ابن بطوطة(٧) .

---

(١) إبن الصيرفى : نزهة النفوس ج ٣ ص ١٨٩ .

(٢) سر الختم عثمان : مرجع سابق ص ١١٩ .

(٣) إبن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ٢٠١ .

(٤) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٥) د . إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٥١ .

(٦) Leon L 'AFricain : op. cit. Vol. I.p. 148.

(٧) إبن بطوطة : مصدر سابق ج ٤ ص ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٣.

ومن أمثلة العلماء المصريين الذين رحلوا إلى السودان الغربى على بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى ثم المصرى الذى رحل إلى بلاد التكرور « وأقرأ أهلها القرآن فحصل له مال » ، ثم عاد إلى مصر حوالى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣ م (١) .

ومن العلماء المصريين من رحل إلى السودان الغربى واستقر هناك مثل قاضى القضاة المالكية بمصر محمد بن يوسف الأندلسى الذى رحل إلى بلاد التكرور بعد سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣ م ، وظل بالسودان الغربى حتى وفاته سنة ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م(٢).

وكان ببلاد التكرور ذرية للشيخ محمد الشربينى شيخ طائفة الفقراء الصوفية بالشرقية من أعمال مصر(٣) .

ومن علماء مصر المشهورين ، والذين كانت لهم مكانة كبيرة فى السودان الغربى جلال الدين السيوطى ، والذى يذكر فى ترجمته الذاتية أنه سافر إلى بلاد التكرور (٤) ، وكان لمؤلفاته شهرة كبيرة فى بلاد السودان الغربى (٥) ، ويقال أن السيوطى زار مدينة كاتسينا من مدن الهوسا ، ودرس بها فترة من الزمن ثم عاد إلى مصر سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م(٦) .

وكان السيوطى صديقاً للأسكيا محمد الكبير سلطان سنغاى ، فقد قابله بالقاهرة خلال عودته من الحج ، واجتمع به ، وناقشه فى بعض الأمور ، وتنبأ السيوطى له بعظم ملكه ، ويقال أن أسكيا محمد كان لا يقبل على ابرام أى عمل هام من أعمال مملكته إلا بعد الاتصال بالسيوطى ومشاورته(٧) .

---

(١) إبن حجر . أنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٦ ترجمة رقم ٢٦ .
(٢) الغزى : الكواكب السائرة ج ١ ص ٧٣ .
(٣) توفى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م – نفس المصدر ج ١ ص ٩٢ .
(٤) السوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٨ .
(٥) الغزى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٨ .
(٦) د . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية ص ٤١ .
(٧) محمود كعت : مصدر سابق ص ص ١٢ – ١٦ ، وأنظر أيضاً :

Sartain, E.M., : Jalal ad din as Suyuti's relations with the people of Takrur, in Journal of Semitic Studies, XVI, 1971, pp. 193—198.

ولم يقتصر الأمر على رحيل علماء مصر إلى السودان الغربى ، أورحيل علماء السودان الغربى إلى مصر ، فقد تبادل الجانبان الرسائل حول المسائل الفقهية التى تحتاج إلى دراسة من أحد الجانبين ، ومثال ذلك الرسالة التى أرسلها الشيخ شمس الدين محمد اللمتونى من السودان الغربى إلى العالم المصرى عبد الرحمن السيوطى سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م ، والتى احتوت على مشكلات فقهية مختلفة ، وقد أجاب عنها السيوطى فى رسالة سماها « فتح المطلب المبرور ، وبرد الكبد المحرور فى الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور »(١) .

واستمرارا لتبادل الرسائل بين علماء السودان الغربى وعلماء مصر فى عصر سلاطين المماليك نجد أن العالم السودانى أحمد بابا التنبكتى(٢) يكتب إلى علماء مصر يطلب الفتوى فى بعض المسائل الفقهية التى اشكلت عليه فيقول فى رسالته : « فبينوا لنا أيدكم الله تعالى ، ماعندكم فى ذلك من منقول ومعقول أدام الله تعالى معاليكم وأسعد مساعيكم . . »(٣) .

---

(١) د . حسنين محمد ربيع : منهج السيوطى فى كتابة التاريخ (بحث مقدم إلى ندوة السيوطى بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية – تحت الطبع)، وانظر نص رسالة السيوطى فى كتاب السيوطى : الحاوى فى الفتاوى – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد حـ ١ ص ٤٥١–٤٥٥ ، وللسيوطى رسالة ثانية موجهة إلى ملوك التكرور ينصحهم ويردهم إلى حكم الله ، وهى مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤١٦ مجاميع .

(٢) توفى سنة ١٠٣٦ هـ – ١٦٢٦ م عن ثلاثة وسبعين عاما . الناصرى : الإستقصا جـ ٥ ص ١٣١ .

(٣) أحمد بابا : مسائل إلى علماء مصر (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس) ، الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالى وسنغاى (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦) ص ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

مصادر البحث

أولا : المخطوطات :

١ — ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ — ١٣٧٧ م) :

تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه .

مخطوط بخط المؤلف بالمتحف البريطانى رقم Add . Rich 7335 يقوم على نشره وتحقيقه د. محمد محمد أمين صدر منه الجزء الأول (٦٧٨—٧٠٨ هـ) — القاهرة ١٩٧٦ .

٢ — ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ—١٣٤٨م :)

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار .

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .

٣ — المحبى (تقى الدين عبد الرحمن بن المقر المحبى ت ٧٨٦ هـ — ١٣٨٤ م) :

تثقيف التعريف .

مخطوط بمكتبة كتابخانة أستان قدس (مشهد — إيران) رقم ١٩٣ .

يقوم على نشرها وتحقيقها عبد الرحمن أمين صادق كرسالة للدرجة الماجستير بكلية اللغة العربية — جامعة الأزهر .

٤ — مجموعة رسائل بالمكتبة الأهلية بباريس :

Recueils des Correspondance, aux Xv *es* entre les Sultans Mamluk et les Couvraus Contemporair, B.N. N*o* 440.

ثانياً : مصادر مطبوعة :

٥ — ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠ هـ — ١٥٢٤ م) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور .
تحقيق محمد مصطفى ــ الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦١ــ١٩٦٣ .

٦ ــ ابن ايبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ت بعد ٧٣٦ هـ ــ ١٣٣٥ م) :
كنز الدرر وجامع الغرر .
الجزء التاسع : الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ــ حققه هانس روبرت ــ القاهرة ١٩٦٠ .

٧ ــ ابن بطوطه (محمد بن عبد الله ت ٧٧٩ هـ ــ ١٣٧٧ م) :
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .
باريس ١٨٨٠ .

٨ ــ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ ــ ١٤٧٠ م):
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
١٦ جزء القاهرة ١٩٢٩ــ١٩٧٢ .

٩ ــ ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢ هـ ــ ١٤٤٨ م) :
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .
تحقيق محمد سيد جاد الحق ٥ أجزاء ــ القاهرة ١٩٦٦ .
أنباء الغمر بابناء العمر .
تحقيق د حسن حبشى ٣ أجزاء ــ القاهرة ١٩٦٩ــ١٩٧٢ .

١٠ ــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ ــ ١٤٠٥ م) :
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
٧ أجزاء ــ بولاق ١٢٨٤ هـ .

١١ ــ ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ت ٨٠٩ هـ ــ ١٤٠٦ م) :

الإنتصار لواسطة عقد الأمصار .
(جـ ٤ ، ٥) القسم الأول والثانى نشر فولرز – بولاق ١٣٠٩ هـ –١٨٩٣م .

١٢ – ابن الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود ت ٩٠٠ هـ – ١٤٩٤ م) :
نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان .
تحقيق د . حسن حبشى ٣ أجزاء – القاهرة ١٩٧٠–١٩٧٤ .

١٣ – ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المصرى ت ٨٠٧ هـ – ١٤٠٤ م (:
تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات) بيروت ١٩٣٦–١٩٤٢ .

١٤ – ابن فرحون (إبراهيم بن على اليعمرى ت ٧٩٩ هـ – ١٣٩٦ م) :
الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب
القاهرة ١٣٥١ هـ .

١٥ – ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ – ١٣٤٨م):
التعريف بالمصطلح الشريف
مصر ١٣١٢ هـ.

١٦ – أحمد بابا التنبكتى (ت ١٠٣٦ هـ – ١٦٢٦ م) :
نيل الإبتهاج بتطريز الديباج .
القاهرة ١٢٣٩ هـ .

١٧ – البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ – ١٠٩٤ م) :
المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب .
الجزائر ١٨٥٧ .

١٨ – الجزيرى (عبد القادر بن محمد عبد القادر ؛ من علماء القرن ١٠ هـ – ١٦م):
درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .
القاهرة ١٣٨٤ هـ .

١٩ ــ السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ ــ ١٤٩٦ م) :
التبر المسبوك فى ذيل السلوك .
بولاق ١٨٩٦ .

٢٠ ــ السعدى (عبد الرحمن بن عبد الله ت بعد عام ١٦٥٥ م) :
تاريخ السودان .
نشر هوداس ــ أنجى ١٨٩٨ .

٢١ ــ السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ ــ ١٥٠٥ م) :
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . جزءان ــ الطبعة الأولى ــ القاهرة ١٩٦٧ .
الحاوى فى الفتاوى .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . جزءان ــ القاهرة ١٩٥٩ .

٢٢ ــ الغزى (نجم الدين محمد بن رضى الدين ت ١٠٦١ هـ ــ ١٦٥١ م) :
الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة .
تحقيق جبرائيل سليمان جبور ٣ أجزاء ــ بيروت ١٩٤٥ .

٢٣ ــ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ ــ ١٤١٨ م) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا
١٤ جزء ــ القاهرة ١٩١٩ ــ ١٩٢٢ .

٢٤ ــ محمد بلو بن عثمان بن فودى (ت ١٢٥٣ هـ ــ ١٨٣٧ م) :
انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور .
القاهرة ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٤ م .

٢٥ ــ محمود كعت (بن الحاج متوكل)
تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .
نشر هوداس ــ أنجى ١٩١٣ .

٢٦ ــ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ ــ ١٤٤٢ م) :
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
حـ ١ــ٢ (٦أقسام) تحقيق د.محمد مصطفى زيادة ــ القاهرة١٩٣٤ــ١٩٥٨ م .
حـ ٣ ــ ٤ (٦ أقسام) تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة .
١٩٧٠ــ١٩٧٢م .
المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار .
جزءان ــ بولاق ١٢٧٠ هـ ــ ١٨٥٤ م .
الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .
تحقيق د . جمال الدين الشيال ــ القاهرة ١٩٥٥ .
٢٧ ــ الناصرى السلاوى (الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد) :
الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
٩ أجزاء ــ الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
ثالثاً : المراجع العربية :
٢٨ ــ إبراهيم على طرخان (الدكتور) :
دولة مالى الإسلامية .
القاهرة ١٩٧٣ .
الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى .
مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ــ العدد الثانى ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ ص ص
١ــ٨٨ .
٢٩ ــ حسنين محمد ربيع (الدكتور) :
منهج السيوطى فى كتابة التاريخ .
(بحث مقدم لندوة السيوطى بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ــ تحت
الطبع) .
٣٠ ــ سر الختم عثمان على (الدكتور) :
العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى فيما بين القرنين الثانى

عشر والرابع عشر (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعةالقاهرة ١٩٦٩) .

٣١ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

العصر المماليكى فى مصر والشام .

القاهرة ١٩٦٥ .

المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك .

القاهرة ١٩٦٢ .

٣٢ ــ الشيخ الأمين محمد عوض الله :

العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالى وسنغى (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦)

٣٣ عبد الرحمن زكى (الدكتور) :

تاريخ الدول الإسلامية السودانية .

القاهرة ١٩٦١ .

الأزهر وما حوله من الآثار .

القاهرة ١٩٧٠ .

٣٤ ــ عبد العظيم حامد خطاب (الدكتور) :

قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية (رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب ــ جامعة عين شمس ١٩٧٣) .

٣٥ ــ عبد القادر زبادية (الدكتور) :

مملكة سنغاى فى عهد الأسيقيين .

الجزائر ١٩٧١ .

٣٦ ــ على بن حسين السليمانى (الدكتور) :

العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك .

القاهرة ١٩٧٣ .

٣٧ ــ محمد أنور أبو علم :

دولة سنغاى الإسلامية .

تطورها الإقتصادى والإجتماعى والحضارى ١٤٩٣ــ١٥٩١ (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٧) .

٣٨ ــ محمد محمد أمين (الدكتور) :

العبدلاب وسقوط مملكة علوة .

(مجلة الدراسات الأفريقية ــ العدد الثانى ١٩٧٣) .

٣٩ ــ محمد عبد المنعم خفاجى :

الأزهر فى ألف عام .

٣ أجزاء ــ القاهرة ١٩٥٥ .

٤٠ ــ منى إبراهيم عبد الرحمن :

السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك .

(رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٥) .

٤١ ــ نعيم زكى فهمى (الدكتور) :

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى

القاهرة ١٩٧٣ .

٤٢ ــ نعيم قداح :

أفريقية الغربية فى ظل الإسلام .

كوناكرى ١٩٦٠ .

حضارة الإسلام وحضارة أوربا فى أفريقيا الغربية .

الجزائر ١٩٧٥ .

رابعاً : مراجع بلغات أوربية :

43—Bovill, E.W·

The Golden Trade of the Moors, London, 1958.

44—Darrag, A.

L'Egypte sous le Regne de Barsbay, Damas, 1961.

45—Delafosse, M.

Haute—Senegal—Niger, 3 vols. Paris, 1912.

46—Fage, J.D.

— An Atlas of African History, England, 1973.

— An Introduction to the History of west Africa, Cambr. 1959.

47—Froelich, J.C.

Essai sur les causes et methodies de l'Islamisation de l'Afrique de l'Ouest du XIe Siecle au XX*e* Siecle, Islam in Tropical Africa, ed. Lewis, I.M. Oxford, 1969.

48—Garcin, J.C.

Un Centre Musulman de La—Haute— Egypte Medievale : Qus, le Cairo, 1976.

59—Gouilly' A.

L'Islam dans L'Afrique Occidentale Francaise, Paris, 1952.

50—Le Chatelier, A.

L'Islam dans L'Afrique Occidentale, Paris, 1899.

51—Lèon L'Africain :

Description de l'Afrique, 2 vols., Paris, 1896.

52— Levtzion, N.

The Early States of the Westertn Sudan to 1500, History of west Africa, ed. Ajayi, J.F.A., Vol. I., Great Britain, 1976.

53—Lombard' M.

l'Or Musulman du VIIe au XIe Seicle, Annales (E.S.C.) II (1947) pp. 143—160.

54—Monteil, Ch.

Les Empires du Mali, Paris, 1930.

55—Panikkar, K.M.

The Serpent and and the Crescent, A History of Negro Empires of western Africa, Bombay, 1963.

56—Robert Laffont.

Les Memoires de l'Afrique, Pairs, 1972.

57—Rouch, J.

Les Songhay, Paris, 1954.

58—Sartain, E.M.

Jalal ad din as Suyuti's relations with the people of Takrur, Journal of Semitic Studies, XVI, 1971, pp. 193—198.

59—Trimingham, J.S.

— A History of Islam in west Africa, Oxford, 1970.

— Islam in west Africa, Oxford, 1961.

— The Influence of Islam upon Africa, Liban, 1968.

60—Umar AL—Naqar,.

Takrur, The history of the name, Journal of African History, (J.A.H.), X, 3 (1969), pp. 365—374.